مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الرابع ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغـــــداد

ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ ـ كانون الاول ١٩٨٧ م

عرض الكتب

بغـــداد

الدكتور أحمد مطلوب
عضو المجمع

اهتم العرب الاولون ببغداد كثيرا ، لانها عاصمة دولتهم ، ومنار مجدهم . فمنها نبعت الحضارة العربية الاسلامية التي اهتدى العالم بها قرونا ، وكانت موئل العلم . وركن السياسة . ومحط التجارة . وظلت على الرغم مما مرّ بها من أحداث النغَم العذبَ الذي يترنم به العرب والمسلمون في كل صقع من أصقاع العالم ، فهي «أمّ الدنيا» و «سيدة البلدان» و « جنة الدنيا » و « قبة الاسلام » و « دار الخلافة » و « مدينة السلام » .

وألفت كتب كثيرة عنها ولعل أهمها « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي الذي يُعدّ مصدراً مهماً في دراستها ومعرفة الحركة العلمية فيها . واعتنى بها العلماء في هذا القرن وكان للاجانب دور واضح في القاء الضوء على هذه المدينة التي لاتزال تحمل رسالة السلام وتبني معالم الحضارة الانسانية . وقد اتجه المجمع العلمي العراقي في السنوات الاخيرة الى اصدار الكتب الموضوعة والمترجمة عنها تخليداً لها وتكريماً لماضيها وحاضرها . فعكف على جمع ما يتصل ببغداد من كتب مخطوطة ومطبوعة بالعربية واللغات الاجنبية . ومن وثائق وخرائط . وبدأ بتأليف الكتب ، أو ترجمتها ، واصدارها لتلقي ضوءً على دار السلام وتظهر دورها في بناء الحضارة الانسانية .

ومن الكتب التي صدرت خلال السنوات الثلاث الاخيرة :

١ ـ خطط بغداد وأنهار العراق القديمة :

ألّف هذا الكتاب بالالمانية مكسميلان شتريك وترجمه الى العربية الدكتور خالد اسماعيل علي ونشره عام ١٩٨٦م. وأصل الكتاب فهرسة لاسماء المواضع في بلاد بابل القديمة . استناداً الى اقوال الجغرافيين العرب الاوائل ، ثم توسع فيه المؤلف فكان هذا الكتاب الذي انتهى منه عام ١٩٠٠ م .

والكتاب في فصلين او قسمين :

الاول : الخطط العامة لبلاد بابل ، استناداً الى وصف الجغرافيين العرب ، وقد تحدث فيه عن الاسماء . والحدود ، والابعاد ، والمسافات ، والانهار في العراق .

الثاني : الخطط الخاصة . وقد تعرض المؤلف فيه لمصادر الخطط . وأسماء المدينة . وموقعها وبنائها ،وكان أقدم الاوصاف لمدينة بغداد وأكثرها تفصيلا هو وصف اليعقوبي . ووصف ابن سيرابيون لنظام الانهار .

ومن المصادر التي تنبض بالحياة « تأريخ بغداد » للخطيب البغدادي الذي ترجم لالاف العلماء المقيمين في دار السلام والوافدين عليها . وشرع المؤلف بعد ذلك في الحديث عن بناء المدينة ، وأشار الى القرى التي كانت في المكان الذي شيدت فيه دار الخلافة ، وأهمها بغداد في الجانب الغربي ، وقد اعجب المنصور بهذا المكان فبدأ في بناء عاصمة ملكه . ووضع الحجر الاساس في شهر ربيع الاول من عام ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) . وانتقل اليها عام ١٤٩ هـ . ومضى المؤلف في وصف خطط بغداد ، استناداً الى المصادر العربية ثم تحدث عن الارباض وانهار المدينة في الجانب الغربي . وعن الاطراف الجنوبية ، والشمالية ، وانتقل الى الجانب الشرقي الذي تألّق بعد أن بنى فيه الخلفاء قصورهم فأخذ الجانب الغربي بالافول وإن احتفظ بمكانته بعض الوقت مركزاً للحركة التجارية والمهنية . ولم يبق من المحال فيه عندما زار ابن بطوطة بغداد إلا ثلاث عشرة محلة بدت بسبب انعزالها عن بعضها كأنها مدن قائمة بذاتها .

بدأ المؤلف بوصف اليعقوبي للجانب الشرقي ، وذكر أنهارها ، وقصور الخلافة ، وأكمل بقية محالّه عن الخطيب وياقوت ، وختم كتابه بأديرة بغداد مستمداً معلوماته من كتاب « الديارات » للشابشتي .

٢ ــ بغداد مدينة السلام :

اهتم الدكتور صالح احمد العلي ببغداد فأصدر عام ١٩٨٥ م كتاب « بغداد مدينة السلام » وهو في مجلدين . تحدث في الاول عن إنشائها ، وتنظيم سكانها في العهود العباسية الثانية . وقد بدأه بمقدمة ذكر فيها بعض وصف القدماء لهذه المدينة الخالدة كقول اليعقوبي انها « المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها » . وقول الخطيب :

« لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها واعلامها . وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها وسعة أطرارها . وكثرة دورها . ومنازلها . ودروبها . وشعابها . ومحالها ، وأسواقها . وسككها وأزقتها . ومساجدها . وحمّاماتها . وطرازها . وخاناتها ، وطيب هوائها » وقول ابن الفقيه : « هي محل الخلفاء . ومسكن الوزراء ، ومأوى بني هاشم ومقرهم ومفزعهم من الشدائد والرخاء . الواسعة الدور ، الكثيرة القصور . الغزيرة الانهار » . وبعد ان استوفى المؤلف مديح القدماء لمدينتهم العظيمة تحدث عن مصادر دراسة بغداد وحللها ، ثم حدّد محور هذا الجزء من كتابه فقال :

« عنيت في هذا الجزء بوصف الاحوال عند تأسيس بغداد ، ومتابعة تطورها المطرد حتى الثلث الاول من القرن الرابع الذي أدّت الاضطرابات والفتن الكثيرة الى تبدلات واسعة في احواله الخططية والعمرانية » . لقد اوضح المؤلف في هذه المقدمة الموجزة أهمية بغداد وتطورها ، والكتب المؤلفة فيها ، ونطاق الدراسة . وهذه مسائل لابدّ من ايضاحها ، حتى اذا انتهى منها قَسَّمَ الجزء الاول من كتابه الى قسمين :

القسم الاول :

خصصه للكلام على العواصم الاولى للدولة الاسلامية وهي : المدينة المنورة ودمشق والكوفة والانبار . ثم تحدث عن الموقع الجديد لعاصمة الخلافة . وتوالت الفصول متحدثة عن الصحابة والانصار ، والموالي ، والعرب ، وسيادة الثقافة العربية . والجيش العباسي في بغداد . وتنظيم اسكان الجيش ، ونفقات الجيش ، والادارة والكتاب والدواوين . والنصارى . وتنظيم العمل في بناء بغداد ، والاعمار ، والنشاط الاقتصادي .

القسم الثاني :

تحدث فيه عن قلب المدينة ، وسكك المدينة المدورة . والخندق ، والاسوار ، والمساحة . وأبواب المدينة المدورة . وباب البصرة ؛ وتطور مدينة المنصور ، وباب الشام ، وباب خراسان ، والاطراف الشرقية للمدينة المدورة .

وكان المجلد الثاني من كتاب « بغداد مدينة السلام » عن التوسع وتطوره ، إذ ضَمَّ الامتداد والتوسع في الاطراف الجنوبية ، وقد تحدث المؤلف في هذا القسم عن نهر الصراة والقطائع حوله . وباب المحول وباب الشعير . والكرخ ، وتطور أحوال الكرخ واطرافه في العهود العباسية . والمحلات في أطراف الكرخ الجنوبية والغربية ، وقصر عيسى ، والمعالم العمرانية على نهر عيسى . والمعالم الخططية وراء نهر عيسى .

وجاء القسم الاخير من الكتاب ايضاحاً للابواب الخارجة وحدود التوسع الخارجي ، والمعالم العمرانية الغربية ، والشمالية الغربية ، وربض حرب والحربية . ودار الرقيق ، والحريم الطاهري ، وباب التبن ، ومقابر قريش ، وقطيعة أم جعفر .

لقد طاف الدكتور صالح احمد العلي بهذا الكتاب في معالم بغداد ، ودرسها دراسة علمية . واستخلص كثيرا من النتائج الدقيقة . مستندا الى المصادر المختلفة التي قدمت له مادة وفيرة بنت أقسام الكتاب وفصوله الاربعة والثلاثين .

ويعد هذا الكتاب زبدة لكثير من الدراسات القديمة والحديثة ويكاد يكون مستغنيا بنفسه في دراسة الجانب الغربي من بغداد . اذ يخرج دارسه بحصيلة علمية كبيرة . ونظرات سديدة كانت حصيلة خبرة طويلة قضاها المؤلف في الدرس والتدريس . والبحث والتأليف .

٣ ـ خطط بغداد في العهد العباسية الاولى :

ألف الدكتور يعقوب لسنر الاستاذ في جامعة ولاية لاين هذا الكتاب وترجمه الدكتور صالح احمد العلي الى العربية ونشره عام ١٩٨٤م. ولم يبقه كما وضعه المؤلف وانما احدث فيه بعض التعديلات في ترتيبه ليزيد من تيسير متابعة البحث . والكتاب في ثلاثة أقسام وملاحق ، وكان القسم الاول عن تحليل المصادر . والثاني عن خطط بغداد كما وردت عند الخطيب البغدادي وفيه حديث عن خبر بناء مدينة بغداد . وخطط مدينة المنصور وتحديدها ، وبناء الكرخ . وبناء الرصافة . ومحال مدينة السلام . وتسمية نواحي الجانب الشرقي . وقصر الخلافة والقصر الحسني والتاج . ودار المملكة التي بأعلى المخرّم . وتسمية مساجد الجانبين المخصصة لصلاة الجمعة والعيدين . وأنهار بغداد الجارية . وعدد جسور بغداد . ومقدار ذرع جانبي بغداد طولا وعرضا . وما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد .

وتحدث عن النمو الخططي لمدينة دولية وهو دراسات وملاحق .

اما الملاحق فقد تضمنت الوحدات المدنية والجوامع ، وتطور الأرباض ، والسياسات الاقتصادية للعباسيين الاوائل . والتطور المعماري لجامع المنصور ، وخرائط بغداد . وقائمة بالخلفاء ، والامراء ، والالفاظ العربية المتعلقة بالخطط وما يقابلها بالانكليزية .

ان ترجمة هذا الكتاب الى العربية ضرورة شعر بها المترجم فنهد الى اخراجه بلغة عربية سليمة مقدماً مادةً علمية ينتفع بها الباحثون والدارسون ، ووصفاً حياً لخطط بغداد في العهود العباسية الاولى يتمتع بها محبو التأريخ والمعجبون بمدينة السلام . ويقفون على معالم هذه المدينة الخالدة التي أنارت العالم . وقدمت للناس خير زاد في حياتهم السياسية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

٤ – خطط بغداد في القرن الخامس الهجري :

ألف هذا الكتاب الدكتور جورج مقدسي استاذ الدراسات العربية في جامعة بنسلفانيا ونقله الى اللغة العربية الدكتور صالح احمد العلي ونشره عام ١٩٨٤م ويكمل هذا الكتاب «خطط بغداد في العهود العباسية الاولى» للدكتور يعقوب لسنر . والكتاب الجديد بحث نشر عام ١٩٥٩م في عددين من المجلد السادس من مجلة « العربية » التي تصدر في باريس . ويعد اوسع ما نشر حتى الآن عن خطط بغـداد في القرن الخامس للهجرة ، وهـو – على الرغم من مرور ربع قرن على نشره – لايزال أحدث ما كتب عن خطط بغداد وتطورها في العهود العباسية المتأخرة .

ومما يزيد في قيمته استيعابه مقداراً كبيراً من المعلومات المتفرقة في المصادر القديمة . وإشارته الى الافكار والتصورات الحديثة . وابراز العلاقة بين التطورات السياسية ، والتبدلات الخططية .

والكتاب ثلاثة اقسام :

الاول : اعادة نشر وصف ابن عقيل لبغداد والتعليق عليه .

الثاني : سرد تأريخي منسق لبعض العوامل الاساسية المؤثرة في عمران بغداد.

الثالث : اعطاء صورة اجمالية للتطور العمراني .

وقد كتبه مؤلفه بأسلوب دقيق ومنظم وترجمه الدكتور صالح احمد العلي بأسلوب مشرق يدل على تمرسه في كتابة التأريخ وتقـديم النصوص القديمة ، والاستنتاجات العلمية .

٥ ـ أطراف بغداد :

الكتاب دراسة في تأريخ الاستيطان في سهول ديالى ، وقد ألفه روبرت مالك آدمز الاستاذ في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو وترجمه الى العربية الدكتور صالح احمد العلي والدكتور علي محمد المياح والدكتور عامر سليمان ونشروه عام ١٩٨٤م . وقد أوضح الدكتور صالح احمد العلي في مقدمة هذا الكتاب ما يسعى اليه المجمع العلمي العراقي فقال : « أولى المجمع العلمي العراقي دراسة بغداد والحضارة فيها اهتماما خاصا . ووضع هذه الدراسة في مقدمة اعماله المكرسة لتوضيح معالم تأريخ الامة وحضارتها . ويتطلب تحقيق ذلك رصد المخطوطات ونشر المهم منها . والقيام بدراسات متعمقة عن معالم بغداد الآثارية والحضارية والفكرية . ولما كان الاطلاع على الابحاث المعتمدة باللغات الاجنبية ييسر الوصول الى عمل اكمل فانها اختارت للترجمة عددا من هذه الابحاث المهمة المكتوبة باللغات الاجنبية ووضعت في مقدمتها كتاب روبرت آدمز » .

والكتاب في قسمين : تعرض الاول لدراسة الوضع المعاصر ، وقد تطرق المؤلف فيـه الى المتغيرات الطبيعية الرئيسة . والانماط الاساسية للقـوام الزراعي . والاتجاهات الحديثة في الاستيطان .

وتطرق في القسم الثاني الى تغير أنماط الاستيطان القديم .

ان دراسة الجانب الشرقي لمنطقة بغداد وما طرأ عليه من تغير خلال القرون الكثيرة مهمة . لانها تلقي ضوءً على ما لهذه المنطقة من قيمة عظيمة ، وتقدم مادة علمية تنفع في وضع الخطط الجديدة . وبناء الحياة المعاصرة .

وقد احسن المترجمون في ترجمة هذا الكتاب ؛ لانه من الدراسات الشاملة العميقة على الرغم مما فيه من ثغرات تتيح المجال لبحوث تعدل بعض ما فيه ، أو تضيف اليه وتغنيه .

٦ – بغداد في الشعر العربي :

لم تسحر بغداد المؤرخين والجغرافيين وحدهم وانما سحرت الشعراء وأنطقتهم شعراً ظل يُروى على مدى العهود . وبغداد التي تغنّت بها الطروس وأشادت بها الاقلام اكثر سحراً وفتنةً حينما يعرضها الشعراء بقصائدهم ذات اللفظ العذب ، والمعنى الرائع ، والايقـاع البديع . وتزخر الكتب والصحف ببديع الشعر وجميله ، وقد تهيأ له الاستاذ جمال الدين الالوسي فوقف عليه واختار منه ما يمثل الجوانب المختلفة من حياة بغداد ومواقف الشعراء ونشره عام ١٩٨٧م، ليكون أغنية عذبة لبغداد وهي تستعيد أمجادها ، وتبني حاضرها ، وتستشرف مستقبلها .

واتخذ الاستاذ الالوسي منهجا له في جمع الشعر وتبويبه . فكان الباب الاول لبغداد في الشعر العباسي ، والثاني لبغداد في شعر العصر العثماني ، والثالث لبغداد في الشعر المعاصر . وفي هذه الاقسام الثلاثة كثير من الشعر ، ولعل أظهره ما جاء في القسم الثالث الذي ضمّ أعذب ما تغنى به الشعراء في القرن العشرين .

وقد يكون هذا القسم كتابا كبيراً اذا رصد ما قيل في بغداد من شعر خلال هذا القرن ، اذ أحب العرب هذه المدينة الخالدة ؛ لانها تمثل حضارتهم وعزتهم وقوام وحدتهم ، وانه لمن الوفاء لبغداد أن ينهد الباحثون لدراسة ما قيل فيهـا من شعر ، واستخلاص خصائصه الفنية . ومقارنته بمـا قيل في المدن العربية الاسلامية أو العالمية ، فإن في شعر بغداد قيمة فنية وقيمة جمالية لا يجد الدارس مثلها في كثير من الشعر الذي قيل في المدن .

وهذا الكتاب من سلسلة الكتب التي بدأ المجمع العلمي العراقي باصدارها احتفالاً بمدينة بغداد واظهاراً لدورها السياسي والعلمي والاقتصادي والاجتماعي . وكان بعض هذه الكتب موضوعا وبعضها مترجما ، وفي ذلك تلوين لمناهج البحث ، وتوسع في عرض الآراء والوقوف على معلومات وفيرة . وفي المجمع وثائق مختلفة عن بغداد في العهـــود المتأخرة وطبعها مهم في القاء الضـــوء على هذه المدينة التي ظلت تتحدى الغزاة قرونا ، ولم تستطع قوى الشر والعـدوان أن تسلبها دورها في بناء الحضارة الانسانية . ولعل المجمع يخرجها قريبا لينتفع الدارسون بها ، وتكون شاهداً حياً على ما لهذه المدينة من عظمة تستحق بها الخلود .